بُنَاة دَوْلَةِ الإسْلام

- ٤٥ -

عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ

رضي الله عنه

هُـوَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ بـن زُهَيْرٍ بـن أَبِـي شَدَّادٍ بـن رَبِيعَةَ بن هِلاَلِ بن مَالِكٍ بن ضَبَّةَ بن الحَارِث بن فِهْرٍ، وَفِهْرُ هُوَ قُرَيْشٌ.

قَـرِيبُ أَبِـي عُبَيْدَةَ بـن الجَـرَّاحِ يَلْتَقِـي مَعَـهُ فِي الجَـدِّ السَّابِعِ ، وَهُو مِنْ أُسْرَةٍ كَرِيمَةٍ، فَعَمُّهُ يُدْعَى عِيَاضَـاً أَيْضَـاً ، وَهُوَ عِيَاضُ بنُ زُهَيْرٍ، مِنَ المُسْلِمِينَ الأَوَائِلِ ، هَاجَـرَ إِلَـى الحَبَشَةِ، وَبَقِيَ فِيْهَا مُدَّةً حَتَّى تَهَيَّأَتْ ظُرُوفُ السَّفَـرِ بَعْـدَ أَن ارْتَحَلَ عَنْهَا جَعْفَرُ بنُ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ مَعَهُ، وَإِنْ كَانَتْ هُنَاكَ رِوَايَاتٌ تَذْكُرُ أَنَّهُ قَدْ هَاجَرَ إِلَى المَدِينَةَ وَشَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ شَهِدَ بَقِيَّةَ المَشَاهِـدِ مَعَـهُ، وَتُوُفِّيَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ سَنَةَ ثَلاَثِينَ لِلْهِجْرَةِ.

وُلِدَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ فِي سَنَـةِ أَرْبَعِينَ قَبْلَ الهِجْرَةِ، فَهُوَ أَصْغَرُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِثَلاَثَ عَشَرَةَ

سَنَةً. وَأَسْلَمَ بَعْدَ غَزْوَةِ الخَنْدَقِ، وَكَانَتْ أَوَّلَ المَشَاهِدِ الَّتِي حَضَرَهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، صُلْحُ الحُدَيْبِيَّةِ، وَشَهِدَ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ، غَيْرَ أَنَّ بَعْضَ الرِّوَايَاتِ تَعُدُّهُ مِنْ أَصْحَابِ بَدْرٍ أَيْضاً. ثُمَّ حَضَرَ الغَزَوَاتِ كُلَّهَا بَعْدَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ. وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ مَوَاقِفُ بَارِزَةٌ أَيَّامَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَلَكِنْ بَرَزَ فِي عَهْدِ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ.

يُعَدُّ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ مِنْ فُرْسَانِ العَرَبِ المَشْهُورِينَ، وَقَدْ شَارَكَ فِي القَضَاءِ عَلَى حَرَكَةِ الرِّدَّةِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ قُوَّةٍ فِي الحِجَازِ لإِعَادَةِ بَعْضِ القَبَائِلِ إِلَى جَادَّةِ الصَّوَابِ بَعْدَ أَنِ انْحَرَفَتْ مَعَ مَنِ انْحَرَفَ مِنَ المُرْتَدِّينَ. وَلَمَّا انْتَهَى مِنْ مُهِمَّتِهِ جَاءَ إِلَيْهِ الأَمْرُ مِنَ الخَلِيفَةِ أَنْ يَسِيرَ إِلَى العِرَاقِ، وَأَنْ يَدْخُلَهَا مِنَ الأَعْلَى، وَأَنْ يَتَّجِهَ نَحْوَ الحِيرَةِ لِيَلْتَقِيَ مَعَ خَالِدِ بنِ الوَلِيدِ الَّذِيْ وُجِّه إِلَيْهِ الأَمْرُ أَنْ يَنْطَلِقَ مِنَ اليَمَامَةِ، وَكَانَ قَدْ قَضَى عَلَى مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ فِيْهَا، إِلَى العِرَاقِ وَأَنْ يَدْخُلَهَا مِنْ أَسْفَلِهَا عَنْ طَرِيقِ الأُبُلَّةِ[1]، وَأَنْ يَسِيرَ إِلَى الحِيرَةِ لِيَجْتَمِعَ هُنَاكَ مَعَ عِيَاضِ بنِ غَنْمٍ، وَأَيُّهُمَا سَبَقَ الآخَرَ فَهُوَ الأَمِيرُ.

---

(١) موقع البصرة.

سَارَ عِيَاضُ حَيْثُ وُجِّهَ إِلَيْهِ الأَمْـرُ، غَيْرَ أَنَّ قَبَائِـلَ شَمَـالِ جَزِيرَةِ العَرَبِ المُرْتَدَّةِ وَالمُتَنَصِّرَةِ وَيَدْعَمُهَـا نَصَـارَى الشَّـامِ وَمِنْ وَرَائِهِمُ الرُّومُ قَدْ قَطَعُوا عَلَيْهِ الطَّرِيقَ فِي دَوْمَةِ الجَنْدَلِ فَحَاصَرَهُمْ وَحَاصَرُوهُ فَتَأَخَّرَ عَنِ العِرَاقِ . وَكَانَ خَالِدُ قَدْ فَتَحَ السَّوَادَ وَانْتَصَرَ فِي عَيْنِ التَّمْرِ فَجَاءَهُ الأَمْـرُ بِدَعْـمِ عِيَاضٍ فَسَارَ إِلَيْهِ، وَوَصَلَ الخَبَـرُ إِلَـى الأَعْـدَاءِ فِي دَوْمَـةِ الجَنْـدَلِ فَانْفَرَطَ عِقْدُهُمْ وَضَعُفَ أَمْرُهُمْ، وَافْتَرَقُوا فِرْقَتَيْنِ ، وَقَـدْ هَزَمَ خَالِدُ مَنْ قِبَلَهُ، وَانْتَصَرَ عِيَاضُ عَلَى الفِرْقَةِ الَّتِي تَلِيهِ، وَسَـارَ عِيَاضُ مَعَ خَالِدٍ إِلَى العِرَاقِ ، وَاشْتَرَكَ هُنَاكَ فِي الفَتْحِ .

وَجَاءَتْ أَوَامِرُ الخَلِيفَةِ الصِّدِّيقِ ، رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، إِلَـى خَالِـدٍ بِالتَّحَـرُّكِ بِقِسْـمٍ مِنْ قُوَّاتِـهِ فِي العِـرَاقِ إِلَـى الشَّـامِ لِـدَعْمِ أَبِي عُبَيْدَةَ، فَسَارَ خَالِدُ بِسُرْعَةٍ تَنْفِيذاً لِلأَوَامِرِ، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ أَحَدَ الأُمَرَاءِ الخَمْسَةِ الَّذِينَ سَارُوا مَعَهُ إِلَى الشَّامِ .

التَقَى المُسْلِمُـونَ مَعَ الـرُّومِ فِي اليَرْمُـوكِ، وَكَانَ عِيَاضُ عَلَى رَأْسِ كِرْدُوسٍ مِنْ كَرَادِيسِ المُسْلِمِينَ، وَكَانَ يَنْطَلِـقُ إِلَى صُفُوفِ الرُّومِ وَيَعْمَلُ فِيهِمْ حَصَداً، وَيُعَدُّ مِنَ المُسْلِمِينَ الَّـذِينَ قَدَّمُـوا تَضْـحِيَاتٍ كَبِيرَةً، وَكَانَـتِ النَتِيجَـةُ أَنِ انْتَصَـرَ

المُسْلِمُونَ نَصْرَاً مُؤَزَّراً، وَهُزِمَ الرُّومُ هَزِيمَةً مُنْكَرَةً وَوَلُّوا الأَدْبَارَ.

سَارَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ اليَرْمُوكِ نَحْوَ دِمَشْقَ بِقِيَادَةِ أَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ، وَهُوَ الَّذِيْ سَارَ فِي المَيْسَرَةِ، وَعَمْرُو بنُ العَاصِ فِي المَيْمَنَةِ، وَخَالِدُ بنُ الوَلِيدِ فِي القَلْبِ، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ عَلَى الخَيْلِ، وَشُرَحْبِيلُ بنُ حَسَنَةَ عَلَى المُشَاةِ. وَتَمَكَّنَ المُسْلِمُونَ مِنْ فَتْحِ دِمَشْقَ، وَلَعِبَ عِيَاضُ دَوْرَاً فِي الحِصَارِ وَالفَتْحِ.

وَاتَّجَهَ فَرِيقٌ مِنَ المُسْلِمِينَ نَحْوَ (فِحْلَ) لِدَعْمِ المُجَاهِدِينَ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ الرُّومَ المُتَجَمِّعِينَ فِيْهَا، وَكَانَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ قَائِدَ المُشَاةِ فِي هَذَا السَّيْرِ، غَيْرَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ كِتَابَاً إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ يَأْمُرُهُ فِيْهِ بِتَسْرِيحِ القُوَّاتِ الَّتِي جَاءَتْ مِنَ العِرَاقِ إِلَيْهَا مَعَ بَقَاءِ خَالِدٍ إِلَى جَانِبِهِ، فَرَجَعَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ إِلَى العِرَاقِ مَعَ مَنْ رَجَعَ لِدَعْمِ سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَمَنْ مَعَهُ فِي حُرُوبِهِمْ ضِدَّ الفُرْسِ.

اشْتَرَكَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ فِي القِتَالِ الَّذِي جَرَى فِي العِرَاقِ وَكَانَ لَهُ دَوْرٌ كَبِيرٌ بِدْءَاً مِنْ مَعْرَكَةِ القَادِسِيَّةِ وَلِمُدَّةِ سَنَوَاتٍ بَعْدَهَا.

نَقَضَ أَهْلُ حِمْصَ عَهْدَهُمْ مَعَ أَبِي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ ، وَحَاصَرُوهُ، وَدَعَمَهُمُ الرُّومُ، فَكَتَبَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ إِلَى سَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ وَأَمَرَهُ أَنْ يُرْسِلَ القَعْقَاعَ بنَ عَمْرٍ التَّمِيمِيَّ فِي كَتِيبَةٍ بِسُرْعَةٍ إِلَى حِمْصَ دَعْماً لأَبِي عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاحِ ، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِهِ أَمَرَهُ أَنْ يُسَيِّرَ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ لِفَتْحِ الجَزِيرَةِ وِلِتَخْفِيفِ ضَغْطِ الرُّومِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ فِي حِمْصَ.

انْطَلَقَ القَعْقَاعُ فِي أَرْبَعَةِ آلافٍ فَوَصَلُوا فِي أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ إِلَى حِمْصَ وَلَكِنْ بَعدَ المَعْرَكَةِ بِثَلاثَةِ أَيَّامٍ. كَمَا جَاءَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مَدَداً وَنَزَلَ الجَابِيَةَ وَلَكِنْ بَلَغَهُ أَنَّ المُسْلِمِينَ قَدْ نَصَرَهُمُ اللَّهُ. وَسَارَ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ بِجُنْدِهِ حَتَّى نَزَلَ الرُّهَا فَصَالَحَهُ أَهْلُهَا، وَصَالَحَ أَهْلُ حَرَّانَ كَذَلِكَ، وَبَعَثَ عِيَاضُ إِلَى نَصِيبِينَ أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ فَافْتَتَحَهَا، كَمَا بَعَثَ عُمَرَ بنَ سَعْدٍ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى رَأْسِ العَيْنِ، وَعُثْمَانَ بنَ أَبِي العَاصِ إِلَى أَرْمِينِيَّةَ، وَسَارَ سُهَيْلُ بنُ عَدِيٍّ إِلَى الرِّقَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَ عِيَاضُ إِلَى دَارَا. وَلَمَّا سَمِعَ أَهْلُ الجَزِيرَةِ الَّذِينَ هُمْ فِي حِمْصَ يُقَاتِلُونَ أَبَا عُبَيْدَةَ أَنَّ الكَتَائِبَ الإِسْلاَمِيَّةَ قَدْ طَرَقَتْ مُدُنَهُمْ وَقُرَاهُمْ انْفَضُّوا عَنْ حِمْصَ، وَاتَّجَهَ كُلٌّ إِلَى بَلَدِهِ فَكَانَ أَنْ

ضَعُفَ أَعْدَاءُ المُسْلِمِينَ فَانْتصرَ عَلَيْهِمُ الفَاتِحُونَ وَمكَّنَ اللَّهُ لَهُمْ.

كَانَتِ الجَزِيرَةُ أَسْهَلَ البُلْدَانِ أَمْراً، وَأَيْسَرَهَا فَتْحاً، وَيَقُولُ عِيَاضُ بنُ غَنْمٍ:

مَنْ مُبْلِغِ الأَقْوَامَ أَنَّ جُمُوعَنَا
حَوَتِ الجَزِيرَةَ يَوْمَ ذَاتِ زِحَامِ
جَمَعُوا الجَزِيرَةَ وَالغِيَاثَ فَنَفَّسُوا
عَمَّنْ بِحِمْصَ غَيَابَةَ القُدَّامِ
إِنَّ الأَعِزَّةَ وَالأَكَارِمَ مَعْشَرٌ
فَضُّوا الجَزِيرَةَ عَنْ فِرَاخِ الهَامِ
غَلَبُوا المُلُوكَ عَلَى الجَزِيرَةِ فَانْتَهَوْا
عَنْ غَزْوِ مَنْ يَأْوِي بِلاَدَ الشَّامِ

وَلَمَّا انْتَهى المُسْلِمُونَ مِنْ حِمْصَ أَمرَ عُمَرُ بنُ الخَطَّاب حَبِيبَ بنَ مَسْلَمَةَ الفِهْرِيَّ أَنْ يَسِيرَ دَعْمَاً لِعِيَاضِ بنِ غَنْمٍ.

وَرَجَعَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنَ الجَابِيَةِ إِلَى المَدِينَةِ، وَسَارَ خَالِدُ بنُ الوَلِيدِ بِأَمْرِ عُمَرَ إِلَى المَدِينَةِ، فَكَتَبَ أَبُو عُبَيْدَةَ إِلَى عُمَرَ يَسْأَلُهُ أَنَ يَضُمَّ إِلَيْهِ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ مكَانَ خَالِدٍ، فَوَافَقَ، وَجَاءَ عِيَاضُ إِلَى أَبِي عُبَيْدَةَ.

وَوَقَعَ طَاعُونُ عَمْوَاس ، وَأُصِيبَ أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَوَلَّى مَكَانَـهُ عِيَاضَ بنَ غَنْمٍ ، وَوَافَقَ الخَلِيفَةُ عَلَى ذَلِكَ ، وَبَقِـيَ عِيَاضُ أَمِيرَ جُيُوشِ الشَّامِ حَتَّى تُوُفِّيَ عَامَ عِشْرِينَ لِلْـهِجْرَةِ أَيْ بَقِيَ مَا يَقْرُبُ مِنْ سَنَتَيْنِ .

تُوُفِّيَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ بَلَغَ مِنَ العُمْرِ سِتِّينَ سَنَةً ، قَضَى أَكْثَرَ مِنْ ثُلُثِهَا فِي الجِهَادِ. وَبَقِيَ تِسْعَ سَنَوَاتٍ مُتَوَالِيَةٍ يَنْتَقِلُ مِنْ مَيْدَانِ جِهَادٍ إِلَى آخَرَ، وَبَيْنَ المَيْدَانِ وَالثَّانِي أَكْثَرَ مِنْ سِتُّمِائَةِ كِيلُومِتْرٍ، لَقَدِ انْتَقَلَ مَرَّتَيْنِ مِنَ العِرَاقِ إِلَى الشَّامِ وَمِثْلُهَا مِنَ الشَّامِ إِلَى العِرَاقِ ، كَمَا سَارَ إِلَى الجَزِيرَةِ أَمِيراً فَاتِحاً ، وَكُلُّ هَذَا الانْتِقَالِ كَانَ عَلَى جَنَاحِ السُّرْعَـةِ ، إِذْ كَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ دَعْماً لِضَعْفٍ أَوْ إِنْقَاذاً لِوَضْعٍ قَدْ يَنْتُجُ عَنْهُ مَأْزِقٌ. فَهُوَ لِلإِنْقَاذِ لِذَا يُعَدُّ بِحَقٍّ مِنْ بُنَاةِ دَوْلَةِ الإِسْلاَمِ لِمَا كَانَ لَهُ مِنْ جُهْدٍ فِي الفَتْحِ وَدَوْرٍ فِي الجِهَادِ.